العدد 12 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية كانون 2 2026
No. 12 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences January 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

الكرونوتوب في مجموعة بقايا رجل وثوب امرأة للقاص سعدون البيضاني

أ.م. د نشأة فائق عبد الحسين
كلية الامام الكاظم " ع " للعلوم الاسلامية الجامعة
nashatalzabaidi@gmail.com

الملخص:

تبحر هذه الدراسة النقدية في ظاهرة الكرونوتوب وتجلياته في المجموعة القصصية لسعدون البيضاني بقايا رجل وثوب امرأة، بوصفه موضوعا حيوياً، نكشف بوساطته عن أحد المصطلحات النقدية التي جسدها الناقد الفرنسي ميخائيل باختين على النصوص السردية، إذ ينطوي هذا المصطلح على علاقة تلازمية وحركية لا يمكن عزلها فنياً عن عنصري الزمان والمكان في تحليل النص وسبر اغواره الدلالية سواء كانت ظاهرة أم مضمرة، إذ لا يمكن عند دراسة أي نص أدبي ان نتغافل أو نتجاوز أمكنته وازمنته، فالزمكان يشكل قارة النص التكوينية، وبنيته المحورية التي تجاوزت التقنية التقليدية الفاصلة بين عنصري الزمان والمكان، اللذان ارتبطا ضمن علاقة متواشجة متناغمة تفرضها حتمية النص الذي اتسم بناؤه اللغوي بتلازم وتلاحم تلك العنصرين تلازما عضويا بحيث لا يمكن فصل احدهما عن الآخر داخل العمل القصصي.

الكلمات المفتاحية: (الكرونوتوب ، سعدون البيضاني، بقايا رجل وثوب امرأة)

The Chronotope in the Short Story Collection Remains of a Man and a Woman's Dress by Saadoun Al-Baydani

Dr.nashat faeq abdulhssein

Abstract:

This critical study delves into the phenomenon of the chronotope and its manifestations in Saadoun Al-Baydani's short story collection Remains of a Man and a Woman's Dress. The chronotope is approached as a vital concept through which one can explore a key literary-critical term conceptualized by the Russian theorist Mikhail Bakhtin in his analysis of narrative texts. This term embodies an inseparable and dynamic relationship between time and space, which cannot be artistically isolated when analyzing a literary text or uncovering its implicit and explicit meanings. No literary work can be thoroughly examined without considering its spatial and temporal dimensions, as the chronotope forms the structural and foundational core of the text. It transcends the traditional separation between time and space, establishing a harmonious and interwoven relationship dictated by the internal logic of the narrative. The linguistic construction of the text reflects an organic unity between time and space, making it impossible to separate one from the other within the narrative framework.

Keywords: Chronotope, Saadoun Al-Baydani, Remains of a Man and a Woman's Dress

المقدِّمــة :

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف الاولين والاخرين محمد الأمين وعلى آله وصحبه الطاهرين الميامين...

تحتل القصة القصيرة مكانة مهمة في حقل الابداع الأدبي عبر ارتباطها بالواقع وقضاياه الاجتماعية والسياسية والتاريخية، وحتى النفسية، بوصفها انعكاسا لحالات وجودية يعاينها القاص والفرد معاً، إذ تحمل القصة القصيرة في طياتها موضوعات الحياة الانسانية وما يتجلّى في الواقع من احداث حتى غدت

الجنس الأدبي الاقرب الى حياة الناس بعد ان حظيت بمكانة مهمة ومتميزة في الاوساط الأدبية، فهي جامعة لفنون أدبية متنوعة على الرغم اختزالها وكثافتها الدلالية الموجزة التي تتمتع بخصوصية وصعوبة في الوقت نفسه.

لقد وقع اختيارنا على دراسة الكرونوتوب في مجموعة سعدون البيضاني القصصية (بقايا رجل وثوب امرأة) لصلتها الوثيقة بواقع القاص المعاش، إذ تعكس هذه المجموعة القصصية انكساره وحزنه وألمه من جهة، وترتبط بأزمة المجتمع العراقي- الجنوبي -، الذي أصلت له بأسلوب مميز ومثير من جهة اخرى، إذ لا تستطيع التجربة الانسانية ان تحدد علاقتها الجوهرية داخل أي عمل أدبي بمعزل عن عنصري الزمان والمكان، لأنهما يساعدان الكاتب على توظيف توجهاته وتصوراته، وايديولوجياته الفاعلة في الحياة؛ لذا عمل الكرونوتوب على تنظيم وترتيب العناصر الزمكانية وتشكيلها ضمن فضاء موحد داخل النص الأدبي؛ ليحقق بذلك اتساقا وانسجاما دلالياً وعضوياً في بناء النص، فضلا عن تأثيره الواضح على تفسير العناصر الداخلية المكونة للنص السردي، إذ أخذ الكرونوتوب مجاله التطبيقي اولاً على النص الروائي إلا أنه أخذ مجاله التطبيقي ايضا على السرد القصصي على الرغم من صعوبة وتحديد البناء الفضائي لعنصري الزمان والمكان وهما مجتمعان سوية بشكل محكم؛ نتيجة اختزال الفكرة بنص قصير، لكن هذا لم يكن صعباً للغاية بيد ان السرد القصصي دائما ما ينفتح على دلالات وآفاق بنائية تجسد مرحلة من مراحل المجتمع الذي نشأ فيه القاص أو قد تنبع بعض الابنية الفضائية من مخيلته وذاكرته لكنها تضيء النص القصصي، وتكشف عن جوانبه الابداعية، إذ تتجلّى العلاقة الجوهرية المتبادلة بين الزمن والمكان عن طريق المستوى الفني الذي يتحقق من انصهار هذين العنصرين واندماجهما في حركة الزمن وحدثه المكاني، حيث يقاس الأخير ويدرك من خلال الاول.

اهداف البحث:

١- يسلط الضوء على مصطلح الكرونوتوب وكيفية توظيفه في مجموعة سعدون البيضاني القصصية بقايا رجل وثوب امرأة.

٢- تحليل وكشف الدلالات التعبيرية والايحائية التي تفرزها العلاقة التواشجية بين عنصري الزمان والمكان.

٣- بيان دور الكرونوتوب في تشكيل البنية الزمكانية داخل القصص الواردة ضمن هذه المجموعة.

منهجية البحث:

تركز منهجية البحث في هذه الدراسة على مصطلح الكرونوتوب وتحليل النصوص القصصية تحليلاً وصفياً، يسبر اغوار رؤية القاص الفنية والموضوعية في توظيفه للزمكان.

التمهيد :

اولاً: مصطلح الكرونوتوب في الأدب

لقد اجترح بعض النقاد حديثاً على مستوى المناهج النقدية ونظرياتها الحديثة مفاهيم اجرائية عديدة، حاولوا بوساطتها استنطاق النصوص والبحث عن بنياتها وخصائصها، ومكوناتها التي تحكم الابداع الفني، وتحدد علاقة الأديب بمحيطه الواقعي، إذ لا يمكن ان يخضع كل مفهوم أو مصطلح نقدي لقانون معين، فعادة ما تقود بعض المصطلحات النقدية الناقد الى الاستكشاف والتصرف في ماهية النص الابداعي بحسب طبيعية المفاهيم الاجرائية لكل مفهوم، لذا جاء مصطلح الكرونوتوب الذي اجترحه الناقد والمنظر الروسي ميخائيل باختين من النظرية النسبية بالتحديد لعالم الفيزياء البرت أنيشتاين كمصطلح أدبي مأخوذ من كلمتين مركبتين (chromos) وتعني الزمن ومن (tope) وتعني المكان، وعلى وفق ذلك أُطلق هذا المصطلح على العلاقة التعاضدية بين الزمان والمكان، بيد ان (علاقة الزمان تنكشف في المكان، والمكان يُدرك ويُقاس بالزمان، وهذا التقاطع بين الانساق، وهذا الامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمكان الفني) [1]، فالكرنوتوب بحسب توصيف باختين يُعد مكوناً اساس من مكونات السرد، إذ يؤثر في باقي العناصر الأخرى، ويكشف عن طبيعة الموضوع، ويحدد مؤشراته داخل السياق، ويُسهم في تطوير الأبنية السردية وتقنياتها؛ لأنه يمثل دالا مليئاً بالمعاني والدلالات التي تجسد العلاقة بين عناصر الخطاب الذي لا يخلو من الزمكان.

يقوم الكرونوتوب على العلاقة الثنائية التكاملية بين الزمن والمكان في الاعمال الأدبية، إذ لا قيمة لاحدهما دون الاخر لانهما يلعبان دوراً واضحاً في الاعمال السردية من حيث نقل الاحداث وتصوير حقائقها ضمن اطار متلازم ندرك بوساطته الصورة وعلاقتها بالموجودات سواء كانت تلك الموجودات متجاورة أم متقابلة، بيد ان الحديث عن مكان ما في السرد يستوجب الوقوف على سيرورة زمن الحدث وعليه (لا يمكن تصور الفضاء السردي دون تصور الحركة التي تجري فيه) [2].

لقد ربط ميخائيل باختين مصطلح الكرونوتوب وحدده بالزمكان في جنس الرواية وتاريخها، لا سيما ان هذين العنصرين قد تمركزا في الأدب فعلياً في ظل ظروف تاريخية معينة تجسدت ضمن قوالب فنية أدبية ذات طابع شكلي ومضموني، واعتبره ايضا مكونا وملفوظاً حكائيا اعطى للمتن السردي بعداً مركزياً واجتماعياً في الوقت نفسه، إذ ازدادت قيمته عبر التداخل الفني الذي شكل نقطة انطلاق في الكشف عن موضوعات ومواقف خطابية افرزتها احداث الواقع وسياقاته المختلفة داخل العمل الأدبي؛ لأن الكرونوتوب مقولة شكلية مضمونية تحدد الى مدى بعيد صورة الانسان ومتعلقاته في الأدب، وبالتالي تكون هذه الصورة زمكانية دائما بشكل جوهري[3].

وعلى وفق ذلك يُعد الكرونوتوب من ابرز العناصر السردية التي تناولها باختين عند دراسته الى اشكال الزمان والمكان في الرواية، بوصفه من الاضاءات الجمالية والدلالية التي يتشكل منها العناصر الفنية للسرد، إذ حاول باختين عبر هذا المصطلح ترتيب العناصر الزمكانية داخل النص السردي، ومتابعة حركة الزمن سواء كانت استرجاعية أم استشرافية داخل فضاء المكان دون التفريق أو التفكيك أو الفصل بينهما وجعلهما ضمن بوتقة ممتزجة بعضها ببعض.

ثانياً: سيرة القاص:

يُعدُّ القاص سعدون البيضاني صوتاً قصصيا مميزاً في الساحة الأدبية العراقية، إذ يحمل اتجاهاً فكرياً متفرداً، وبصمة قصصية ذات نزعة اجتماعية واقعية. ولد البيضاني في ميسان – قضاء المجر الكبير عام 1956م، من أسرة ريفية متواضعة ومثقفة، فقد كان قاصاً بارعاً وروائياً حاذقاً نجح في أن يضع أسمه ضمن قائمة القصاص العراقيين المشهورين لما يمتلكه نتاجه الأدبي من ايقاع مميز يجمع بين الحداثة والتقليد الذي خلق له ادباً قصصيا تمرد فيه عن واقعه، وكشف ملابساته، وعرى بعض طبقاته وفئاته الاجتماعية التي تعيش على مجموعة من التناقضات، وعلى وفق ذلك كتب سعدون البيضاني ادباً مثقلاً بمشاعر الأسى والانكسار جرّاء صعوبات الحياة ونكباتها، وهذا ما عكس تجاربه الشخصية والثقافية، فضلا عن ابداعه وقدرته وتنوع اساليبه التعبيرية التي تجلّت عبر نتاجه القصصي الثر.

تأثر القاص في بداية كتاباته بالروائي الكبير نجيب محفوظ، إذ كان منذ طفولته محباً للقراءة والمطالعة وهذا ما اكده في لقاءه معي عندما قال (بين التاسعة والعاشرة من عمري لم أفقه شيئاً من حياتي، لكني أعرف ان رقعة من الجلد الميت تغطي هامتي خلّفتها صينية الكعك او الحلويات، أدور فيها بين الأزقة منادياً بأعلى صوتي.. كيك حار.. جرك.. داطلي ابو الشيرة، زملائي الاطفال لا يشترون الّا مني.. أول وخزة في الخاصرة تلقيتها حين سمعت امرأة تقول لولدها (ماما اشتري من سعدون عفية تحصل ثواب) عرفت اني مثار استعطاف، وان والديّ مسافران بلا رجعة، وان جدتي تبكي عليهما وليس في عينيها أي مرض، ولأني مجدّ في دروسي وحتى أسد مركب النقص سرقت من أخي الوحيد الذي كان في الصف الاول المتوسط كتاب المطالعة والنصوص، لحفظ منه عشرة أبيات من أي قصيدة أجدها ثم أقرأها في الاصطفاف الصباحي في المدرسة، وينبهر بها الطلاب والمعلمين؛ لأنها لم تمر عليهم ولا زلت أذكر ان أول قصيدة حفظتها هي أضحى التنائي بديلاً من تدانينا لابن زيدون، فصفق لي المعلمون وهم لا يصفقون الا نادرا.. مما شجعني على الاستمرار بالحفظ والمطالعة، بعد فترة دخلت المكتبة العامة في قضاء المجر الكبير عن طريق الصدفة فصارت ملاذي الدائم لمدة تزيد على العشرين سنة، أول من حفزني واكتشف موهبتي هو مدرس اللغة العربية في متوسطة المجر الكبير بمحافظة ميسان وانا طالب في الصف الاول متوسط حين كتب على دفتر الانشاء.. اتمنى لك مستقبلا زاهرا في عالم الكتابة ولم يدر في خلدي ان اكون قاصا في يوم ما، وهذا المدرس هو الاستاذ مالك المطلبي، حيث كان يقيم في ناحية الحلفاية التابعة لمحافظة ميسان، ثم اخذ بيدي الشاعر حطاب الفيصلي الشاعر الكبير الذي وصفه نزار قباني بشاعر

الحب والجمال، إذ تعرف علي وطلب مني ان أعطيه قصة قصيرة وارسلها الى مجلة المجالس الكويتية المصورة عام 1974 ، ونشرت قصة العدد فآتاني بها وكانت فرحة لا توصف وانا طالب في الصف الرابع العام ، ثم توالى التشجيع من قبل الفنان المرحوم جواد الزبيدي الذي شغل رئيس قسم السيراميك في معهد الفنون الجميلة في بغداد حتى وفاته، كان قاصا جميلا لكنه تفرغ للفن، فلا أنكر فضل الاستاذ عبد عون الروضان والاستاذ سعيد الروضان حيث نشرا لي في مجلة فنون والطليعة الادبية سنة 1980 قبل الحرب ..

عندما نشبت الحرب العراقية الايرانية تركت النشر بما يقارب خمس عشرة سنة رغم تشجيع بعض الادباء الذين كانوا معي في الخدمة العسكرية مثل القاص ثامر معيوف والاستاذ عادل العرداوي، وغيرهم لكني قررت القطيعة وتفرغت لقراءة روائع الادب العالمي، وفي عام 1996 تعرفت صدفة على صديقي الشاعر علي سعدون، كان له الفضل الكبير في عودتي لعالم القصة وقد زجني في هيئة تحرير جريدة (عين) مسؤولا عن صفحة القصة، وقد عرفني بدوره على الشاعر جمال جاسم امين، وعلى ادباء المحافظة مثل حسن السلمان ورعد زامل والمرحوم محمد الحمراني الذي لازمني حتى رحيله وعرفني على الوسط الادبي في بغداد، فضلا عن ارساله مجموعة من قصصي الى الصحف المحظورة خارج العراق مثل الزمان عن طريق الشاعر عبد الخالق كيطان والجسر وجسور وثقافة 11.. وفي عام 1997 أقيم ملتقى للقصة القصيرة ودعيت له وقرأت لأول مرة اربع قصص قصيرة جدا بين الفنتازيا والكوميديا السوداء، وكان حاضرا فيها كبار كتّاب القصة العراقية من بينهم القاص محمد خضير واحمد خلف، وعبد الستار ناصر، وكاظم الاحمدي، ومحمود عبد الوهاب، وجاسم عاصي، والناقد حسين سرمك وناجح المعموري، وغيرهم .. فتفاجئ الجميع من ان أقرأ هكذا نمط من القصص على حد تعبير اغلبهم.

كان الاستاذ احمد خلف القاص والروائي الكبير نقطة تحول واضحة في مسيرتي الادبية لرعايته لي رعاية متفردة حتى صار مبيتي ومأكلي في بيته ولا يسمح لي بالمبيت في الفندق او تناول الاكل في مطاعم بغداد. قبل ذلك كان لوالدي الاثر الكبير ايضا على مخيلتي مبكرا، إذ كان حافظا للقصص والحكايات الغريبة ومئات المواويل والابوذية والدارمي، وفي عام 1997 والسنوات الاربع التي تلتها كانت الصحف نشرت لي العديد من القصص ولا يمر شهر مالم ينشر لي قصة او اكثر وكان لأستاذنا الكاتب الكبير جمعة اللامي رحمه الله تعالى الاثر الكبير من ناحية التشجيع، ونشر قصصي في جريدتي الخليج والاتحاد عن طريق المرحوم محمد الحمراني، إذ ظل اللامي يراسلني قبل وصول الانترنيت وما زلت احتفظ برسائله الجميلة والحقيقة كان اللامي من نقاط التحول في تجربتي القصصية، فصدمت حين قرأت مجموعتيه اليشن ومن قتل حكمت الشامي حتى عدت النظر في طريقة كتابتي للقصة.

ويبدو ان هناك مسألة كانت تقف عائقا بيني وبين مواصلتي القراءة والنشر وحضور المحافل والمهرجانات الادبية، اذ كيف اقنع زوجتي وعائلتي ولي عشرة اطفال من جدوى الكتابة ؟ فكنت احصل على اجازة من دائرتي لمدة شهر واعمل حمالا في الشورجة، واسكن في فنادق بائسة رخيصة ينام فيها المصريون والحمالون والسكارى، عندما اعود لأهلي اقول لهم هذه مكافأة نشر عن مجموعتي جنون من طراز رفيع، فيفرحوا ايّما فرح، فقد كنت أبيع السجائر بالمفرد في باب الدائرة وانا مدير احد اقسامها، أصلح قداحات، أبيع الحلاوة الصفراء بديل السكر ايام الحصار، واخيرا استقر بي المقام سائق تاكسي حتى تسكربت انا وسيارتي والحمد لله الذي عوضني عنها بدراجة هوائية تنقلني من والى الدائرة بأقل كلفة وجهد.. كثيرون الذين وقفوا الى جانبي لمؤازرتي.. نقاط مهمة في حياتي لا يمكن تجاوزها ابدا.. صديقي العزيز الاستاذ عبد الامير المجر، احمد سعداوي، د. احمد الشيخ علي، د. حيدر سعيد ، الاستاذ عبد الزهرة زكي، القاصة الرائعة عالية طالب، صديقي القاص الجميل محمد علوان، وآخرين اعتذر ان نسيت اسماءهم.

لم توافق دار الشؤون الثقافية قبل 2003م على طبع قصصي وكُتِب على روايتي خيبة يعقوب رواية سوداوية لا تعكس وجه العراق المشرق فيما سجلت مجموعتيّ جنون من طراز رفيع ومخلوقات ومدن في عداد المفقودين لولا ان تتداركني نعمة الاستنساخ، وموقف صديقي د. احمد الشيخ علي في مكتبة المدى الذي اسقط عني نصف الكلفة، ومن الطريف اني قلت لا صدقائي الذين لا أخاف منهم وقد هنأوني بعد الموافقة على طباعتها، د. احمد الشيخ والدكتور طه حامد الشبيب وعبد الامير المجر ود. عاصم عبد

الامير في جلسة ضمتنا في مقهى الجماهير نهاية عام 2002 حول رواية خيبة يعقوب (سيسقط صدام في السنة القادمة وستطبعها لي الحكومة القادمة التي ربما اكون فيها) وذكّرتهم بعد السقوط.

لم يسحرني في الحياة شيئا اكثر من القصة القصيرة، والرواية قراءة او كتابة فهي تمثل لي الهروب من الحياة الى الحياة .. تسحرني الكتابة في منطقة الكوميديا السوداء والفانتازيا؛ لأنه يعني التجديد والدخول الى عوالم واسعة من النضج والخيال، القصة الومضة التي يراها بعضهم من ثمان كلمات، لا أستسيغها ابدا ولي فيها رأي اجعلها بين السطرين الى الاربعة دون الدخول الى الانزياح الذي يلغي تجنيسها ويجعلها تائهة بين الشعر والقص، وما تعدى ذلك الى ما يزيد على العشرة أسطر فهي قصة قصيرة جدا وفيها لغة وموضوع وحكي وجمالية ولغة متوجهة ..

وقد كتب عن تجربتي القصصية كثير من ادباء العراق منهم القاص جمعة اللامي، والناقد علوان السلمان الذي تواصل معي تواصلا جميلا وأكثر من حفزني على المشاركة في المسابقات الدولية او المحلية، و د. سمير الخليل، و جاسم خلف الياس، ومحمد الاحمد، وهيثم بهنام بردى، وجاسم عاصي، وحسن السلمان، وصادق الصكر، وجمال جاسم امين، وعلي حسين عبيد، وعبد الامير المجر، وجابر خليفة جابر، والعشرات من الاساتذة لا يمكن ان اذكرهم في جلسة واحدة [4].

اصبح البيضاني عضوا في الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، كما اصبح عضوا في اتحاد الادباء والكتاب العرب. صدر له عدد من المجاميع القصصية والروايات منها (جنون من طراز رفيع- مجموعة قصصية / مخلوقات ومدن- مجموعة قصصية / خيبة يعقوب- رواية / اسفل الحرب.. اسفل الحياة- مجموعة قصصية / نافلة الخراب- رواية / زفاف على خيول بيض- رواية) كما نشر عديد من القصص والمقالات النقدية في الصحف والمجلات العراقية والعربية، وفاز في جوائز عديدة من بينها مسابقة دار جان الدولية للنشر بالقصة القصيرة في المانيا عام 2012م. وفاز بمسابقة نازك الملائكة للقصة القصيرة جدا التي اقامها اتحاد الادباء في العراق عام 2012م. وفاز ايضا بمسابقة رابطة الادباء العرب للقصة القصيرة، وبجائزة التميز بمسابقة القصة الومضة العالمية عام 2014م. كما عمل محررا في عدد من الصحف والمجالات الأدبية والمواقع الكترونية[5].

المطلب الأول: كرونوتوب السخرية:

السخرية من أكثر الموضوعات تشبثاً بالبنية الاجتماعية، إذ يعكس عبرها الأديب احوال مجتمعه والواقع الذي يعيشه، بيد ان السخرية بالفنون الأدبية ما هي إلا انعكاس للسخرية في الحياة حيث تقوم على نقد الواقع والاستهزاء بالقيم السلبية التي تمارس في المجتمع؛ لذا أخذت مجموعة القاص سعدون البيضاني (بقايا رجل وثوب امرأة) في بعض قصصها تسجيل حقبة زمنية عاش القاص مخاضها، وافرغ ما اثار حفيظته في هذه القصص من قضايا اجتماعية بأسلوب مثير وساخر، وقد جسد هذا في قصته " مزاد علني " بقوله: (عرض نفسه في مزاد علني لبيع الاعضاء البشرية، بدأ المزاد من الاسفل، من قدميه الى حوضه الى الصدر ومحتوياته الذي انباع بأغلى سعر ثم اليدين والعجيب ان الرأس العقل المدبر اشتراه احد المزارعين البسطاء بثمن بخس جدا ودفع المبلغ له مقدما، بعد خمسة ايام من المزاد العلني وبعد أن اتخذ القرار الدرجة القطعية تم عرض الجسد على اللجنة الطبية، وكان القرار قاسياً رغم الطعون المقدمة من قبل البائع إلا ان اللجنة اعطت رأيها النهائي" بعد الفحوصات المختبرية المعقدة والمتطورة تبين ان الجسد مشبعٌ بالسياسة وفاسدٌ الآن لانتهاء مدة صلاحيته) [6].

لا شك ان الارتباط الجدلي بين الزمان والمكان يحددان الحلقة الداخلية في النص السردي عبر الاحداث وتصويرها؛ لأن الاحساس بالزمان لا يختلف عن الاحساس بالمكان، لذلك اينما وجد الحدث الزماني وجد المكان، وعلى وفق ذلك يتمحور كرونوتوب السخرية بشكل واضح في هذه القصة عبر المكان المتمثل بعتبة عنوان القصة " مزاد علني " وزمانيته التي جسدتها الافعال (بدأ، كان، اعطت..) فضلا عن مفردة خمسة ايام الواردة في القصة، إذ يورد القاص نوعا من السخرية والتهكم من الوضع السياسي الجائر ومن ممثليه الفاسدين الذين سرقوا حقوق الشعب علناً، وكأن ارادة الانسان ومقدراته وحقوقه مباحة لهؤلاء الفاسدين من الساسة، إذ تجلّت عناصر الكرونوتوب الفاعلة هنا عبر عنصر الحركة (بعد خمسة ايام من المزاد العلني)، وحالة الاضطراب المتمثلة برأي اللجنة.

إن التركيب المزجي الذي يحمله الكرونوتوب لعنصري الزمان والمكان ناتج من العلاقة الوطيدة، والتبادل الدلالي والحركي لهذين العنصرين وما يقومان به من اضاءات فنية جمالية لها دور اساس على الأبنية السردية الاخرى، لا سيما بنية الشخصية التي نقل لنا القاص واقعها الاجتماعي بحرفية عالية ضمن حقبة زمنية محددة جسدت غائيته الابداعية وذاتيته المعذبة التي افصح عنها بأسلوب ساخر موجع في قصته " الحمّال والعربة "، التي يقول فيها: (على عربة يسحلها حمار سافل أحمل عمراً ادرد والأولاد في ساحة القمامة يستنشقون الوجع ويحملون أكياساً معبأة بعلب المشروبات الغازية والكحولية الفارغة، وفي الليل استلقي على خرقة بالية واغني.. يا بلد النفط التليد منّ على حماري بالعافية كي لا تترمل العربة) [7].

ترتبط قصة " الحمّال والعربة " في خيوطها المتينة بهاجس التهميش الذي وظفه القاص بأسلوب ساخر ذات دلالات رمزية تحمل مفارقة تهكمية لاذعة، يشير عبرها الى عراقة البلد وثروته النفطية الهائلة التي لم يجنِ من ثمارها الشعب الذي تحمل عبء الحياة أي شيء، فالبيضاني ابدع في نقل وتصوير واقع الفرد العراقي وظروفه المعايشة المزرية، وحاول اعادة المشاهد الحياتية ومجريات وقائعها بإنتاجية قصصية ذات طابع هزلي ساخر اضفى على عنصري الزمان(الليل) وعنصر المكان (ساحة القمامة) اتساقا وانسجاماً بالمسار الخطي للسرد، بوصفه أداة قصصية يتم فيها نقل الافعال والاحداث على وفق منطق خاص تختلف ضروبه باختلاف الانواع القصصية والمذاهب الأدبية وغيرها من العوامل [8].

يكشف الكرونوتوب عادة عن افكار القاص وواقعه، وفنية نتاجه ضمن بؤرة واحدة، خصوصا إذ تماهى القاص مع الاحداث ضمن بنيتها الزمكانية الواقعية، واقرنها بمدلول رمزي يجمع بين الجد والهزل، وهذا اللون من السرد جاء متناغماً مع اسلوب البيضاني وصوره التي اعتمدت معظمها على واقعية ساخرة ومبكية في الوقت نفسه، إذ تطرق القاص في مضمون نصوصه الى الجانب الفكري والثقافي في مجتمعه المليء بالتناقضات، وتناوله بأسلوب نقدي ساخر ومؤلم، وهذا التمثيل ظهر بشكل واضح في قصته " سجين " التي تقول (مكث عبد الله في السجن سنين عددا، ما كان بائع مخدرات، كان بائع كتب مستعملة لكن القاضي فسر الأمر ان الاثنين يحرفان العقل عن مساره ويهددان أمن البلد...) [9].

لقد ارتبط الزمان والمكان في هذه القصة القصيرة جداً ارتباطاً وثيقاً وضمنياً، إذ نجدُ ان هناك علاقة تواشجية بين المكان السجن، والزمان الذي تمثل بالسنين العديدة التي قضاها عبد الله في السجن، حيث جاءت القصة بأسلوب تهكمي على الرغم من كثافتها الدلالية عميقة التأثير، إذ ينتقد فيها البيضاني الواقع السياسي والاجتماعي بطريقة ذكية ساخرة من الأنظمة السلطوية التي لا تفرق بين الجريمة الحقيقية والتهمة المصطنعة، ولا ترغب ان تسمع صوت المثقف الحر، الذي يشكل خطرا على كيانها، إذ تبدو المفارقة الساخرة من تفسير القاضي الذي لا يفرق بين الممنوع والمرغوب. فالقاص قدم لنا نصاً دراميا مشهدياً حدده ضمن اطاره الزمكاني؛ ليمنح القصة اسلوباً خاصا، ونمطا ادائيا مميزا، يجمع فيه بين السرد القصصي بتقنيته المعهودة، وبين ثنائية الزمان والمكان وما يشكلانه من نسيج متماسك من حيث البناء، لأنهما يمثلان علاقة ضمنية لم ترتبط أو تقيد بقانون محدد (سوى قانون الجمال، كما أن كليهما ليس له ضابط سوى استخدام التقنية المناسبة للنص المناسب) [10].

لقد جاء توظيف الكرونوتوب على وفق ما تقدم ضمن صياغة قائمة على الرمز والايحاء بأسلوب ساخر تهكمي من الوضع الاجتماعي القاهر الذي اظهر فيه القاص كل معان البؤس والانكسار الناجم من التهميش لبعض فئات المجتمع التي تعيش على حافة الحياة، لا سيّما ان عنصري الزمان والمكان من عناصر السرد الاساس، فلا يمكن ان نجد عملا ادبياً سردياً خاليا من الزمان والمكان، إذ تترتب عليهما احداث القص في السرد الحكائي بحضور عنصر الحركة الذي يضفي عليهما علاقة حيوية تربطهما ببعض في سياق النص.

المطلب الثاني: كرونوتوب الرفض والتمرد :

الرفض والتمرد تجربة انسانية معقدة تتولد من حالة شعورية مقترنة بالظلم والحيف، وناتجة من عدم القناعة والرضا لما يتعرض له الانسان من حالة استلاب وانتهاك لحق به لأسباب اجتماعية وسياسية قاهرة، لها دور فاعل في خلق حالة من الرفض للأشياء التي لا تنسجم مع تطلعات الانسان ورؤيته، فقد تشكل مبدأ الرفض والتمرد في المنظومة الأدبية عبر تشكيلاتها الفنية والموضوعية عن طريق الصراع القائم بين الذات والعالم الخارجي، وهذا الصراع اقترن بزمان ومكان؛ لأن اي موضوع أو حدث لا يأتي من فراغ، بل يرتبط بمكان تتجسد فيه القضايا الحسية المتعلقة بالإنسان، والقضايا الذهنية التي تقترن بزمان معين، وهذه العلاقة المتبادلة بين الزمان والمكان تخلق اشكالاً من التصورات الفنية في النصوص الأدبية، إذ تعمل على صياغة الواقع والعالم طبقا لكرونوتوبات مختلفة من مركبات زمكانية[11].

لقد جاءت قصص البيضاني أقرب الى حالة الرفض الفردي الناتج من قناعاته تجاه الواقع الاجتماعي المليء بالبوس والفقر والجوع، إذ وثقت قصته " الوصية " مشهداً رائعاً مؤلماً يشي بصور الحزن والقهر ودلالتهما التي تُعد مؤشرا واضحاً على معاناة الواقع الجنوبي من جهة، ومعاناة القاص من جهة أخرى، وهذا ما تبلور في نص قصته: (قيل اني بمثل هذا اليوم قبل ثلاثين عاما ولدت من ابوين بالكاد خلفاني، عندما دبت المراهقة في جسدي المنهك رحلا الى الحياة الاخرة بالتعاقب فتوزعتُ ما بين الفاقة والغريزة التي أودت بي أكثر من مرة الى مسالك الرذيلة، خلال هذا السقف الزمني الذي لا احتمل تمديده اطلاقا أكون قد التهمتُ اطنانا من الطعام وشربتُ امتارا مكعبة من المياه تكفي لسقي مزارع كبيرة وواسعة جدا ودار في رئتي من الهواء ما يكفي لتشغيل مرجل بخاري.. أمّا الآن وبعد أن أفرغت رأسي من محتوياته.. وساعتي تشير الى منتصف النهار من يوم الجمعة الاول من تموز ولاكتفائي بهذا القدر من الحياة وعدم رغبتي في الاستمرار قررتُ أن انهي حياتي صعقا) [12].

ترمز الزمكانية في هذه القصة الى الثقافة الجنوبية، إذ تحيلنا القصة الى مكان ولادة القاص الذي يختزل الزمان وبالعكس، ويتضمن صورة قاتمة تشوبها الخيبة والخذلان اللذان امتزجا بالزمن اليومي الذي يعيشه البيضاني، إذ يحاول ان يقدم كل ما يجري عليه من مشاكل وصعاب، وينقل لنا وجعه بدقة حكائية محكمة غير معقدة تحمل في طياتها انهياراً نفسيا، ورفضا للحياة التي لا يمكن الاستمرار فيها؛ بسبب ما تحمله من عبء وسلسة من الاوجاع، إذ يبدو ان القاص لجأ هنا الى اخضاع قصته الى الترتيب الكرونولوجي الذي يبدأ من الماضي (قبل ثلاثين عاما) وصولا الى الحاضر (أمّا الآن وبعد أن أفرغت رأسي من محتوياته...) أو قد يستشرف من خلاله المستقبل الذي لا يرى فيه شيئا جديدا، وهذا الترتيب الكرونولوجي الذي اعتمده القاص يعني بـ(تنظيم المواقف والاحداث وفقاً لترتيب حدوثها) [13].

عاش سعدون البيضاني حياته بين الرفض والرجاء بين الغضب والصبر، وكأنه في خصام دائم مع هذه الحياة التي يحاول رفضها والتمرد عليها على الرغم من قسوتها، فلم تقتصر قصصه في رفضها للواقع الذي يعيشه فحسب، بل تجاوزت ذلك ورفضت بشدة ممارسة المجتمع، والاحتجاج على بعض افعاله التي يفرضها بفعل السياسة السيئة، وان ما يميز قصصه اندماجها وانعطافاتها على حياة الانسان الذي يشكل المحور الاساس والحركة الفاعلة التي تدخل ضمن اطار عنصري الزمان والمكان، لذا دائما ما يلجأ الى اعادة انتاج الاحداث وتناميها في قصصه على وفق فعل سردي يتجلّى بفعل الكرونوتوب الذي جسده في قصصه ومنها قصته " سياسة "، التي يقول فيها على لسان أحدى شخصياته (أم حسن لم تكن شريكة في العملية السياسية ولا تنوي الترشيح لأيّ انتخابات، فقط كانت تحرض الجيران على الاضراب عن الطعام وتدعم كتلة جائعون وتثقف على ان الجوع انتماء للمعارضة، لذلك عندما دعت كتلتها جائعون للقيام بمسيرة سلمية في شارع دجلة اعلن مجلس المحافظة حالة الطوارى القصوى وكلّف مسؤولا رفيع المستوى باغتيالها) [14].

لو تتبعنا بكثب الكرونوتوب في هذا النص لوجدناه يسير في خط متوازٍ عبر مثيراته الدينامية الدلالية الفاعلة المرتبطة بزمن القاص ومكانه (فترة الانتخابات، شارع دجلة، مجلس المحافظة)، إذ تتحول هذه المتوالية الزمكانية الى بنى ومؤشرات مقصدية تفصح عن رفض ذات طابع سياسي واجتماعي في الوقت نفسه، مستخدما فيه القاص اسلوب المفارقة والنقد اللاذع، والسخط الجماعي الرافض للسلطة الفاسدة التي تسعى الى تجويع شعبها من اجل الحصول على مكتسباتها الانتخابية، إذ سلط البيضاني في هذا النص رفضه وتمرده على القمع السياسي التي تمارسه السلطات الحكومية على كل من يعارضها،

نتيجة تهميشها للطبقات الفقيرة، وعلى وفق ذلك استطاع القاص ان يثبت بصمته الخاصة عبر ادواته ورؤيته المتبعة في تجسيد موضوعات القص التي تجمع بين الواقعية والفنتازيا بأسلوب لا ينجرف الى ما وراء الانطباعات المثالية القائمة على اليوتوبية، بل تعامل مع الاحداث بطريقة جذابة مفارقة لم تمكنه من الانفلات من عالمه الزمكاني، إذ بقي يتحكم به بطريقة المقيد لا المتحرر، لا سيما ان الزمكان يمثل (رمزاً لعواطف انسانية وفردية عميقة) [15].

اما في قصته " حيرة " فقد جسد البيضاني بأسلوب ايحائي انتحار ابناء قريته واحد تلو الاخر رفضا ونكاية بالحياة وصعوباتها، وتعبيرا عن عدم رغبتهم في معايشة هذا الواقع المليء بالتناقضات، إذ جاء انتحارهم تمردا ورفضا وانعتاقا لحياة يومها مثل امسها، إذ يقول (ثلاثة تمنّوا التفريط بأعمارهم، انتحر الاول، فأقيم له نصب تذكاري ضخم في وسط المدينة، انتحر الثاني بمناسبة مرور سنة على انتحار صديقه فأحرقت جثته البلدية ورمته في النهر، احتار الثالث بين الموت والانتحار، فاحتار الموت نكاية بالحياة) [16].

يعزز الكرونوتوب في قصته " حيرة " رسالة القاص الانسانية والفنية، وما تثريه من معان ايحائية تحمل اشارات رفضية تجلّت عبر ظاهرة الانتحار المتكرر التي بوساطتها يدين القاص استلاب انسانية الانسان وكرامته، وما يتحمله من شقاء وتعب ومعاناة في هذه الحياة التي رفضها رفضاً عقلانياً ينم عن نضجه الفكري والثقافي في مواجهة سلبياتها التي كبلت قيود الفرد وجماحه، وجعلته يعيش حياة الرفض والتمرد، ويبدو ايضا ان فكرة الهروب من الحياة وواقعها المرير قد سيطر على مخيلة البيضاني، إذ لا يستطيع ان يرسم ملامح حياته ولا يحقق ابسط طموحاته ورغباته المستقبلية في ظل واقع أصبح بالنسبة له أشبه بالجحيم، لذا جاءت لغته السردية لغة انهزامية يغلفها الايحاء والرمز، لا سيّما ان الوحدة السردية في أي عمل أدبي هي الكلمة التي تأخذ قيمتها وفحواها واثرها الدلالي من الايحاء [17].

المطلب الثالث: كرونوتوب اليأس والتذمر:

يُعدُّ اليأس والتذمر من القضايا الوجودية التي وقف عليها الادباء في مختلف نتاجاتهم، إذ عبروا عن احوال النفس وتأملاتها واضطراباتها النفسية، فالقاص سعدون البيضاني من الادباء المعاصرين الذين استجابوا لمقتضى التشاؤم والتذمر، حتى جاءت اغلب مفردات معجمه اللغوي تدور حول محور التشاؤم والقلق والانكسار والاضطراب والشكوى، وهذا يدل على عدم استقرار حالة القاص النفسية، وعلى تذمره من بؤس الحياة الاجتماعية ومشقتها، وهذا ما اختصرته قصته " مختصر مفيد " التي يقول فيها: (بعد عشر سنين سمعتُ أنه في ذلك اليوم الذي لا نعرف تاريخه بالضبط خشية الاحتفال بأعياد ميلادنا ذبحوا الديك الوحيد الذي تملكه أمي ورمّلوا دجاجاتها الثلاثة الباقية، هكذا تأرجحتُ بين حياة بال عليها الزمن فتعفنتْ ومراهقة احتقنتْ بالغريزة فخرجتُ من جادة الصواب، بين امنيات معطلة وعافية معطوبة، أبلل آمالي بالأحلام وانّشفها باليأس، أنكفئ على الحياة بمهزلة وانشّط سنواتي بمهزلة.. وبين مهزلة ومهزلة أمسك رزمة من الخيوط وابرمها بحجة سحب هذا الجسد من براثن الرتابة، يا ترى كم سأرتّق من عمري حتى أنتشل روحي من مطحنة الوحشة التي تداهمني على مدار الساعة) [18].

يبدو ان حياة البيضاني ممعنة باليأس والتذمر؛ نتيجة الاوضاع الاجتماعية المؤلمة القاسية التي نما في وسطها شعوره واحساسه الذي جُبل على اليأس والخضوع والشكوى والحرمان في اطار حديثه عن تعاسة الحياة، لذا نجده في هذه القصة شاكيا من محن الدنيا ومهازلها، وقنوطه من الوجود الذي أتعبه واشجاه، وقطع عنده الامل والرجاء من الحياة التي يسودها الاحباط والشقاء، ولعل الزمن الراهن الذي يعيشه القاص جعله يجسد فعل الزمكان (بعد عشر سنين) ومكابداته الاستشرافية ذات الطابع المأساوي الذي يشير الى جمود واقعه، ورتابة حياته وخيبات أمله، وعلى وفق ذلك يكون الكرونوتوب اساس القصة رغم قصرها الكمي (باعتبار ان اعمالها محتاجة إليه) [19].

إن تشاؤم القاص وتذمره من الحياة وسأمها، اظهرت شعوره بالانكسار والاحباط، والكآبة الشديدة، وهذا ما تمثل في قصته " القاص " التي يحكي فيها ما انتابه من يأس، فيقول:(أيقن ان الحياة فائضة عن الحاجة كأية سلعة بائرة وانها ليستْ إلا زريبة تتناطح فيها كائنات مختلفة دون ان تفصح عن السبب، لذا حاول ان يؤسس كيانه على انقاض عزلته وخيباته المتكررة فبنى له كوخا صغيراً لا تتجاوز مساحته مساحة أي

مرحاض، بنى الجدران من كتبه بعدما خلع الحروف من الورق ولم يضع سقفا لكوخه للمحافظة على ما تبقى من حريته، القى نظرة الوداع على الجدران الكتب في هذا الضلع الساعة الخامسة والعشرون، في الضلع الثاني الجحيم، في الثالث الجريمة والعقاب، مائة عام من العزلة... بعدما انتهى من البناء جلس في منتصف الكوخ، دثر نفسه بما يملك من ملابس وأحذية واقلام وكتب، سكب زجاجة البنزين المحسن الذي كان يحتفظ به منذ اسبوع على مملكته الصغيرة واضرم النار..) [20].

تظهر نزعة البيضاني التشاؤمية بوضوح في خطابه القصصي الذي يعكس احساسه الحاد بالتذمر وضيق العيش من هذه الحياة العبثية التي لا قيمة وجدوة لها، حياة مشبعة بخيبات امل جعلته يتذمر من موروثه الثقافي الذي لا يستطيع ان ينقذ الفكر لذا جرد الكلمات من حروفها، على الرغم من انه اراد ان يحتمي من قسوة هذه الحياة في شرنقة هذا الموروث، لكن آمال الحياة تحولت عنده الى سديم وعناء، وكأن القاص يعيش في حيرة وتيه دائم، ويبدو ان الزمن في هذه القصة زمناً رمزيا " الساعة الخامسة والعشرون، عام من العزلة " يشير الى روايتين ترمز الى زمن لا معنى له، زمن تجاوز حدود المعقول، بينما حمل المكان بعداً نفسيا تجسد في عزلة القاص بذلك الكوخ الصغير الذي اسسه من مقتنياته التي لم تسعفه في مصارعة هذا العالم الممتلئ بأشد حالات القنوط والتذمر. لقد عزز هذا النص البعد الزمكاني الذي أظهر فيه القاص البعد الاجتماعي الذي ينتمي اليه، إذ يرتبط مفهوم الكرونوتوب بالسياق ويلعب دورا واضحا في تشكيل خطاب القاص، وهذا يساعد المتلقي في فهم النص وتحليله على وفق تلك المعطيات البنائية التي تفصح بدورها عن تحديد المعاني الظاهرة والمضمرة من جهة، وتنقل لنا مقاصد القاص الدلالية والتواصلية من جهة اخرى.

كما نلاحظ ايضا نواح القاص الداخلية من اعباء الحياة واحمالها الثقيلة على كاهله، إذ تسللت معاناته من اوجاع الزمان ومصائبه الى نصوصه القصصية، وهو يشتكي من ضنك العيش، وحرمانه من ابسط ملذات الحياة التي يتوق اليها كل انسان، فيقول في قصته " جلسة عائلية ": (ولدي هذا الجوع الذي يتكوّر أمامك كقنفذ هو الأبن الشرعي لحماقة أبيك فكيف أضربه؟ وأنا اشرح حماقتي على موقد النار أثناء التجمع العفوي بعد عشاء رمزي وجدت زوجتي تمسح الاواني بالأسى وبناتي يجلسن جنبها بوضع القرفصاء يلعقن دموعهن بملاعق خشب، بعد هذا الاجتماع مباشرة أخذت أدّون طلبات العائلة بقلم رصاص تسهيلا لعملية تزوير متوقعة، بعدما وعدتهم فردا فردا بتنفيذ طلباتهم نهض الجميع وصفقوا بطريقة مبتكرة تتلخص بضرب الاكف على الجباه، ولأنها المرة الاولى التي احصل بها على هذا التأييد المطلق طاطأت رأسي خجلا وجدت موقد النار قد خمد، فنفختُ صافرتي إيذانا بالنوم ذلك أن البرد بدأ يزحف باتجاه العظم..) [21].

لقد تجلّى الانسجام الكرونولوجي هنا عبر الزمن الدرامي الذي خلقته رؤى القاص التي تجسد صراعه الداخلي وهو ينازع الزمن القاسي وسطوته، إذ رسخ التوظيف الزمكاني الذي حدده عبر " فترة العشاء، الاحساس بالبرد والجلسة العائلية، موقد النار"، الفضاء الواقعي للحدث الذي يحكي بعمق البعد الانساني والاجتماعي والنفسي لحالة الجوع وضنك العيش التي تهيمن على افراد أسرته؛ نتيجة لحماقة موروثة تركت أثراً متجذراً من البؤس واليأس عبر مظاهر سريالية استبدل فيها التصفيق على الجباه بدل الكف، ليوحي بذلك شدة الالم والتذمر لا الابتهاج والفرح، فالقاص قدم نصا مشهديا ينم عن اليأس والخذلان. وقد انتج التمازج بين زمكانية واقع القاص وثقافته العامة تماهياً اجتماعياً ونفسياً اسهم في بناء النص السردي ضمن معطيات واقعية اختزلها الترابط الكرونوتوبي داخل السياق الذي يُحدد عبر (الوحدة الفنية للمؤلف الأدبي في علاقته بالواقع الفعلي، إذ ينطوي الزمكان في المؤلف على لحظة تقيمية لا يمكن فصلها عن الزمكان الفني الكلي إلا في التحليل المجرد، بيد ان التحديات الزمانية والمكانية هي دائما ذات صيغة انفعالية داخلية) [22].

وعلى وفق ذلك طرح البيضاني بصدق فني قضاياه الاجتماعية في اغلب اعماله القصصية التي تتمتع بنزعة واقعية جسدت نقمه وسخطه من واقع جعل ذاته تنطوي على احساس بالرفض والانكسار والخيبة والحزن الذي افرزته بيئته الزمكانية المأطرة بمأساته التي افصح عنها بطريقة ممسرحة وهمسات ذاتية مغلفة بإيحاء ورمز يبوح عمّا في داخله عبر عناصر بنائية تجلّت بمفهوم الكرونوتوب الذي أسهم في تحديد وفهم معاني النص، واعطى رسالة ومؤشراً واضحا للقارئ عن مشاعر القاص وتوجهاته.

المطلب الرابع: كرونوتوب الحرب:

لاشك ان ظاهرة الحرب والصراع متأصلة في النفس البشرية منذ خلقها، لكنها تتلون بالوان مختلفة اجتماعية وسياسية تنتج عبر الاختلاف، لذا أخذت ظاهرة الحرب في شعوبنا العربية حيزاً واسعاً من نتاج الادباء؛ بسبب ما انتجته من دمار وخراب واطماع. فلا يمكننا تجاوز كرونوتوب الحرب ونحن ندرس مجموعة سعدون البيضاني بقايا رجل وثوب امرأة، إذ أخذت الحرب وآثارها منه الشيء الكثير، إذ اكتوى بأحداث الحرب ونيرانها وذاق مرارتها، فجاءت بعض قصصه تحكي تجربته الزمكانية الخاصة المشبعة بالفاظ الحرب ودلالاتها، وبما ان القاص عاش حرباً دامية في فترة الثمانينيات والتسعينات فلاشك ان تسجل ثيمة الحرب محوراً فاعلاً في بعض نصوصه القصصية، إذ شكل الحرب في قصته " اسفل الحرب " هاجسا مهيمناً، فيقول: (دخل الحبس بعدما حطم ناصية مجده وترك في الأرض الحرام هويته الشخصية وقرص الهوية وجعبة من الذخيرة الحية مع صورة عشيقته وآخر رسالة منها وكان قد اودع في أذنها آخر كذبة بأن سيطلب يدها في أقرب اجازة دورية، قضى في الحبس عشر سنين كسر فيها مراهقته وأحلامه وحماقاته وارتضى وقارا ما كان ليريده في هذه الحقبة من عمره بالذات، كيف سيحافظ على سواد شاربه ورأسه وهو في محجر عملاق يحدّه من الشمال جنود مدجّجون بالسلاح، ومن الجنوب والشرق والغرب حيطان من الخرسانة واسلاك شائكة ونوافذ بالكاد تسمح بدخول الضوء، والمحجر العملاق كل الوافدين اليه متهمون بتهمة واحدة لذا دخلوا بلا محاكمة...) [23].

يقدم القاص كرونوتوب الحرب بصوره الموجعة المشبعة بالذكريات الاليمة ضمن دلالة تجسد مراحل حياته المتناقضة (مجده وسقوطه، احلامه وانكساره، حريته وسجنه)، فضلا عن تأمله الاجباري داخل السجن الذي دخله نتيجة الحرب العشوائية التي لم يجن منها الانسان غير العذاب والمأساة، إذ تضافر الزمان والمكان في هذه القصة عبر امتداد المدة الزمنية التي حددها القاص بـ(عشر سنوات) داخل السجن؛ لخلق اجواء نفسية تلائم طبيعة الحدث الذي يدور حول الانتماء والفقد، والكبت النفسي، والخذلان والتخلي القسري عن الذات، ذات القاص الذي لم تمنحه الحرب مشروعية في تمثيل ذاته، فجاء تشكيل الكرونوتوب في ثيمة الحرب بإيقاع متوتر تجسد في مونتاج سينمائي توزعت مشاهده ما بين زمكانية تجلّت عبر (الارض الحرام، الحبس، الزمن النفسي)، الذي لوح ببعد عاطفي اجتماعي داخل النص.

لا يمكن للقاص التخلص من شعوره الحاد تجاه الحرب ومفرداتها، لذا يبحث عن أي شيء حتى يبرر لنفسه ذلك الانكسار والشعور الذي اجهده وهو يبحث عن ملاذه الآمن، ووجوده في هذه الحياة التي جسدها عن طريق قصة (فلاش) القائمة على رمزية وايحاء ومفارقة تجسد العنف في سياق الحرب من جهة، والطقوس المقدسة من جهة أخرى، ويبدو ان الفشل في المهام الاساس الملقاة على العاتق، تحاول ان تعيد نفسها بسياق آخر ووظيفة أخرى لتبرر عجزها وفشلها من هذه الحياة، وهذا ما حاول ان يجسده البيضاني في قصته " اعادة اعتبار" التي ينتقد فيها الأنظمة السياسية بطريقة رمزية مبطنة ساخرة، فيقول:(لكي يبرر المدفع المنكسر في الحرب هزيمته في المعركة نصّب نفسه مدفعاً للإفطار) [24].

اشار القاص الى الكرونوتوب هنا عبر التداخل بين البعد المكاني والزماني الذي تجسد في المكان " الحرب " والزمان وقت " الافطار "، فعلاقة احدهما بالأخر تنكشف بوساطة هذا التداخل المستوعب استيعاباً فنياً، فالملاحظ ان البيضاني له القدرة الهائلة في التلاعب بإعدادات النص القصصي بما يتلائم ويتناغم مع افكاره ورؤاه التي طالما نجدها بصورة تمزج بين الواقع ودلالاته في اطار فني لا يحقق جمالية النص الفنية فحسب، بل يخلق شيئاً من التوتر والتشويق الذي يدفع القارئ الى اعادة النظر في هذا الواقع المليء بالصخب، إذ نحن امام نصوص قصصية يقوم تشكليها على خطاب سردي لا يزيغ عن قضايا القاص الاجتماعية النابعة من معاناة ذاته المهزومة، لذا بلغت مجموعته بقايا رجل وثوي أمراة ذروة نزوعه الروحي الذي تحدد مساره عبر الكرونوتوب، بوصفه وعاءً لحالة القاص الشعورية والذهنية.

كما يشير البيضاني ايضا في قصته " حماية " الى الحرب بطريقة سيميائية فيقول: (لكي نحمي قلوبنا من الأرضة علينا ان نبتلع الخطابات.. ولكي نحمي الطرقات من المارة علينا ان نلبس الشوارع دروعا من الخطوات.. فما عاد الاسفلت يحمل اقدامنا التي ارهقتها الهرولة.. كلما تقدمنا الى الامام يصيح علينا العريف الآلي- الى الوراء در- فتتعثر الخطوات وتنزلق الاماني) [25].

يعبر القاص بلغة شعرية استعارية عن أزمة وجودية شهدها المجتمع الذي عاش الخذلان السياسي والانقياد الطوعي والتسلط، والفساد الذي تفشى في الحياة الاجتماعية واجبرها على التراجع لا التقدم؛ نتيجة الحرب التي جردت الانسان من انسانيته بعد ان حكمه الخوف والقمع، وهو يبتلع خطابات فارغة ممنهجة تعكس صورة السلطة المرعبة، إذ يكتسب الكرونوتوب في هذه القصة ابعاده ومعناه عبر تشكيله صوريا من المكان(نحمي الطرقات، نلبس الشوارع..)، والزمن الذي تجسد بالأفعال المضارعة (نحمي، نبتلع، نلبس، يحمل، تقدم، يصيح..)، وهذا يدل على استمرارية البوح الموجع الذي لا يزال صوت الحرب وساحاتها صدى في ذاكرته، ورؤيته التي تعبر عن احوال النفس واضطراباتها، وموقفه من الحياة، ورصد موضوعاتها الاجتماعية المختلفة.

المطلب الخامس: كرونوتوب الموت:

يصطحب الانسان في كوامنه الداخلية تيار الخوف من الموت، ويلجأ عادة الى شيء من الزهد والانصراف عن ملذات الحياة وزينتها ليس رغبة فعلية منه، بل يشعر احيانا أنه غير قادر على تحقيق طموحاته في الحياة سواء بتأثيرات داخلية تتعلق بعجزه أم عبر تأثيرات اجتماعية تجسد لنا مآسي الحياة وقسوتها، إذ أخذت ثيمة الموت في مجموعة البيضاني صورة للخلاص من قيد الحياة وعنفوانها، حيث تعلو النبرة التشاؤمية التي تجسد نزعته الفنتازيا في قصته " وصية " التي تجسد صوت الانسان الذي انهكته الحياة، لكنه يبقى متمسكا بطقوسه الحياتية لعلها تخلصه من ذلك البرزخ المخيف الذي يقف الانسان فيه حائرا عاجزا، لا تنفع معه المظاهر المادية، وهذا التمثيل تجسد بقوله: (اتصل بي أحد اصدقائي المتوفين تواً وترجاني أن اكتب على كفنه سورة يوسف وسورة يس ودعاء العديلة وعندما قلت له: هذا يكلفني وقتاً طويلا وأنا متعب رجاني والح عليّ وقال: هذا يتوقف على دخولي الجنة فأذعنت لطلبه، بعد مرور سنة على وفاته اتصل بي ثانية وقال: للأسف كتابتك لن تجدي نفعا لأننا خلعنا الاكفان عند الحساب) [26].

ليس الموت في قصة البيضاني موتاً جسدياً فحسب، بل موتاً كاشفاً لحقيقة كبرى لا تجدي معها المظاهر المادية نفعا، لكن عمل الانسان الحقيقي في الحياة وهو من يحدد مصيره في ذلك العالم، هذا ما تضمنه الحوار الميتافزيقي بين الاصدقاء داخل القصة، والذي حدد بدوره الكرونوتوب عبر مضمونية القبر والوقت مرور سنة على وفاة صديقه.

على الرغم من قسوة الموت على مخيلة القاص بعد ان أخذ منه والده هو في سن مبكر، وابقاه يواجه مصاعب الحياة ومحنها وحيدا، تطارده اشباح الظلام واعاصير الاسى، وظروف الحياة السيئة المثقلة بالمعاناة، إذ نجده في قصته " مقبرة " التي يقول فيها (في المقبرة القديمة، اسفل الحياة رأيت الموتى يتهامسون وأبي يلقنهم حياة فائتة، يقول لهم: كفوا من الهمس حفاظا على اكفانكم من ان يسرقها المرشحون للموت، شكرا للذين ماتوا على ضفاف الحياة، الموت اخر المدن المستقرة التي نأويها.. مدن جميلة غير مقيدة بحكومات ومجالس محلية..) [27]. تلك القصة التي تجسد الموت لا بوصفه حدثا مفاجئا أو نهاية مأساوية، بل زمكانا هادئا جميلا للحياة بعيدا عن هؤلاء السراق والمتسلطين على رقاب الاخرين، الموت هنا امتدادا لحياة تحكمها قوانين غير قوانين حياة الاحياء، حياة ليس فيها ضجيج وحركة للفاسدين، على الرغم من بعض محاولات الحياة التي تحاول ان تخترق حياة الموتى من اجل الطمع والسيطرة؛ لان الموت اخر المدن المستقرة، وملجأ أخيرا من فوضى الحياة وقيودها الرقابية. فالقاص خلق في نصه صورة ايحائية ذات معان ودلالات موحية كضفاف الحياة / المرشحون للموتى / المدن المستقرة / اسفل الحياة، فضلا عن المفارقات التي جعلها ركيزة اساس في بناءه السردي الموتى يتهامسون / الموت مدينة جميلة، وهذا النص القصصي يضع تصورا عكسيا للموت الذي جعله القاص ملاذا امنا من فوضى الحياة وسلطة المتنفذين من الحكام، بيد ان الموت (بمعناه الفلسفي الميتافيزيقي ظاهرة لأزمت الانسان منذ الازل، وانعكست في مختلف فلسفاته ومعتقداته، فتكررت في ذات الانسان كلما كانت تلك الذات مفرطة في حساسيتها وتوترها والتفكير في مصيرها) [28].

وتقترب قصته " صلاة " في مضمونها الموضوعي من قصته " مقبرة " التي تنقلنا من رعب الموت الى تأمله، إذ جعل الموت خلاصا ومتنفساً من ضنك العيش وبؤسه من جهة، وراحة من حياة معادة من جهة أخرى، أو قد يكون الموت ناشئا من لحظة آنية ناتجة من عارض نفسي تجاه موقف من مواقف

المجتمع وفئاته، تجعلك تُعيد النظر في احساسك بالموت، ومراجعة الذات، فيقول (بعد موتي بيومين أو ثلاثة حلمتُ أني أكفن نفسي واصلي عليها صلاة الوحشة، بعدما أنهيتُ الصلاة التفتُ الى الوراء وجدت مجاميع من الناس تصلي على ارواحها فقررتُ ان اعيد النظر بقضية موتي) [29]

اعتمد القاص سعدون البيضاني في سرده القصصي الممتع على طابع سينمائي مشهدي، ولغة فنية جميلة، وتقنيات سردية مثيرة معتمدا في ذلك على الترتيب الزمكاني الذي افصح عن ذاتيته، ورؤيته وما يتعلق بقضايا واقعه بأبعاده الفنية والموضوعية، بيد ان البعد الوظيفي للسرد القصصي يتكأ على نقد الواقع، ويكشف عن العالم الداخلي للإنسان الذي أنشئ من أجله، فهو ليس ترفاً فكرياً يقرأه المتعبون قرب المدافئ في الايام الباردة، أن الأدب القصصي ضد المسخ، ضد التشوهات، ضد اكتساح الجنون للمعرفة[30]، بل هو صورة حية للواقع الذي يتماهى معه القاص ضمن رؤية ابداعية تُظهر مستوى فكره المنفتح على فضاءات متنوعة، أثمرت عن نتاج قصصي حمل مكابداته وهواجسه الذاتية والجماعية، وعكس هويته، ومدى انتماءه للمجتمع الذي نشئ فيه، وعبر عن مشاعره وحالته النفسية، وهذا ما اعطى اشارة وانطباعا واضحا للقارئ على ثقافة القاص وطباعه.

الخاتمة ونتائج البحث:

لقد فاض بحثنا الموسوم بـ (الكرونوتوب في مجموعة بقايا رجل وثوب امرأة للقاص سعدون البيضاني) بنتائج يمكن اجمالها بالاتي:

اولاً: اعتنى القاص عناية كبيرة بالكرونوتوب وابدع في توظيفه، بوصفه من الملامح الاسلوبية الاشد فاعلية وتماهيا مع العناصر الاخرى، إذ شكل قارة النص عبر علاقته التواشجية الزمكانية التي لا يمكن فصلهما عن بعض، ولا يمكن فهم الاحداث وتحليلها بمعزل احدهما عن الأخر؛ لأنهما يشكلان الحركة السردية اثناء عملية القص بشكل متناغم مع طبيعة كل قصة داخل المجموعة.

ثانياً: لاحظنا ان هناك تجانس بين قوة الفكر والعاطفة عبر الكرونوتوب على الرغم من افكار القاص المضطربة، لكنه حاول ان يجعل من الوقائع اسبابا لحوادث حقيقية.

ثالثاً: يفصح الكرونوتوب بطرقه المختلفة التي استخدمها القاص وعبر دلالته الزمكانية عن حالته النفسية ومشاعره وعواطفه وافكاره التي جسدت صراعه مع الزمن ووثقت ارتباطه المكاني، لا سيما كرونوتوب السخرية والرفض واليأس والحرب لوقوفهم على قضايا هامة عكست ذاتية القاص واحوال المجتمع.

رابعاً: استخدم القاص في مجموعته القصصية عناصر سردية مختلفة، لكن الكرونوتوب شحن نصوصه دلالات شعورية عميقة عبر بوساطته عن احاسيسه وانفعالاته ورؤيته التي شيدت قصصه عمقا وخصوبة، ولغة مثيرة جمعت بين الوضوح والايحاء، كما ترتب على الكرونوتوب داخل العمل القصصي عناصر التشويق عن طريق الاحداث واثارتها بشكل فعال.

خامساً: لاحظت ان القاص استخدم مصطلح الكرونوتوب بطرق مختلفة، شكلت بصمة واضحة في مجموعته القصصية، وميزت نتاجه عبر انتقاله بين كرونوتوبات متعددة الموضوعات برشاقة ومفارقات متنوعة مراعياً فيها طبيعة السرد وذوق المتلقي.

سادساً: لاحظت ان القاص استخدم في بعض قصصه اشارات زمكانية ليدل بوساطتها عن رغبته في الافصاح عن دورة الحياة واثارها التي تشير الى معان البؤس التذمر والانكسار والتهميش والحرمان، لكن كل هذا لم يقف حائلاً امام ابداع البيضاني ونبوغه، بل نما موهبته وصقل شخصيته التي رافقها العذاب النفسي جرّاء الظلم الذي شهده الشعب انذاك.

سابعا: لجأ القاص الى توظيف الحوار الداخلي، واختار الاماكن المغلقة مسرحاً لأحداثه.

ثامنا: شكل كرونوتوب الحرب والموت ثيمة فاعلة في نتاج البيضاني، لا سيّما ان القاص عاش الحرب وويلاتها وجايلها شطرا كبيرا.

الهوامش:

(1)- اشكال الزمان والمكان في الرواية، ميخائيل باختين، ترجمة يوسف الحلاق:6.

(2)- بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، حميد لحميداني:63.

(3)- ينظر: اشكال الزمان والمكان في الرواية، ميخائيل باختين:6.
(4)- لقاء اجريته مع القاص سعدون البيضاني في منزله بتاريخ 19 / 4 / 2025م.
(5)- ينظر: بقايا رجل وثوب امرأة " قصص قصيرة "، سعدون جبار البيضاني: 106- 107 .
(6)- المصدر نفسه: 99 .
(7)- المصدر نفسه: 96 .
(8)- ينظر: علم السرد " المحتوى والخطاب والدلالة"، الصادق بن الناعس قسومة: 213 .
(9)- بقايا رجل وثوب امرأة، سعدون جبار البيضاني: 7 .
(10)- ايقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، أحمد النعيمي: 160 .
(11)- ينظر: قاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة السيد امام: 32 .
(12)- بقايا رجل وثوب امرأة، سعدون جبار البيضاني: 103 .
(13)- قاموس السرديات، جيرالد برنس: 32 .
(14)- بقايا رجل وثوب امرأة، سعدون جبار البيضاني: 90.
(15)- فن الشعر، ارسطو طاليس: 200.
(16)- بقايا رجل وثوب امرأة، سعدون جبار البيضاني: 89.
(17)- ينظر: طرائق تحليل السرد الأدبي، رولان بارت، ترجمة حسن بحراوي وآخرون: 15.
(18)- بقايا رجل وثوب امرأة، سعدون جبار البيضاني: 16.
(19)- علم السرد " المحتوى والخطاب والدلالة"، الصادق بن الناعس قسومة: 101.
(20)- بقايا رجل وثوب امرأة، سعدون جبار البيضاني: 8.
(21)- المصدر نفسه: 104.
(22)- ينظر: اشكال الزمان والمكان في الرواية، ميخائيل باختين: 230.
(23)- بقايا رجل وثوب امرأة، سعدون جبار البيضاني: 37 .
(24)- المصدر نفسه: 85 .
(25)- المصدر نفسه: 92 .
(26)- المصدر نفسه: 95 .
(27)- المصدر نفسه: 93 .
(28)- ما قالته النخلة للبحر" الشعر المعاصر في البحرين 1925- 1975م، علوي الهاشمي: 111 .
(29)- بقايا رجل وثوب امرأة، سعدون جبار البيضاني: 86 .
(30)- ينظر: بلاغة القصة القصيرة العربية " بحث نقدي في التحول والخصائص"، محمد حسن معتصم: 46 .

المصـــادر:

- اشكال الزمان والمكان في الرواية، ميخائيل باختين، ترجمة يوسف الحلاق، منشورات وزارة الثقافة دمشق- سوريا، ط1، 1990م.
- ايقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، أحمد النعيمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط1، 2004م.
- بقايا رجل وثوب امرأة " قصص قصيرة "، سعدون جبار البيضاني، طبعه اتحاد الأدباء والكتاب في ميسان، ط1، 2024م.
- بلاغة القصة القصيرة العربية " بحث نقدي في التحول والخصائص"، محمد حسن معتصم، دار أزمنة للنشر والتوزيع- عمان، ط1، 2010م.
- بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، حميد لحميداني، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط1، 1991م.
- طرائق تحليل السرد الأدبي، رولان بارت، ترجمة حسن بحراوي وآخرون، ط1، 1992م.

- علم السرد " المحتوى والخطاب والدلالة"، الصادق بن الناعس قسومة، جامعة الامام محمد بن سعود- الرياض، ط1، 2009م.
- فن الشعر، ارسطو طاليس، ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، د. ط، 1953م.
- قاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة السيد امام، ميريت للنشر والمعلومات، ط1، 2003م.
- لقاء اجريته مع القاص سعدون البيضاني في منزله بتاريخ 19 / 4 / 2025م.
- ما قالته النخلة للبحر" الشعر المعاصر في البحرين 1925- 1975م، علوي الهاشمي، دار الحرية للطباعة- بغداد، ط1، 1981م.